شبهات النصارى وحجج المسلمين

(تتمة الكلام في الشبهة الثانية على القرآن)

(الشاهد الرابع) زعم المعترض ان مافي سورة المؤمن من ان موسى أرسل الى فرعون وهامان وقارون يدل على ان قارون من قوم فرعون فهو مناقض لقوله تعالى في سورة القصص «ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم»

ونقول في الجواب ان كون قارون من قوم موسى مجمع عليه عند المسلمين سلفهم وخلفهم كما قال ابن عطية وقالوا انه من ذوي القربى لموسى عليه السلام ولكنهم اختلفوا في جهة القرابة فنقل عن ابن عباس وغيره انه كان ابن خالته وقيل غير ذلك مما لا يعنينا ولم يفهم أحد من العرب ولا ممن بعدهم من أهل اللغة مافهم هذا النصراني في آخر الزمان

قال تعالى في سورة القصص ان رجلا اسمه قارون كان من قوم موسى وكان طاغيا بطرا بماله فبغى على قومه بني اسرائيل فأنذروه عاقبة البغي ونصحوا له بأن يبتغي بماله الدار الآخرة الى مايتمتع به من الدنيا فلم يقبل وكل هذا يدل على أنه كان كافراً طاغياً جاحداً من قوم سبق لهم إيمان وكتاب . وقال في سورة المؤمن انه ارسل موسى الى فرعون وهامان وقارون فذهب بعض المفسرين الى ان قارون هذا كان مصريا وكان قائداً لجند فرعون وذهب بعض الى أنه قارون الاسرائيلي ولكنه ذكره مع فرعون ووزيره هامان لانه كان رئيساً باغياً مثلهما وهؤلاء الرؤساء الطغاة البغاة هم الذين يحولون بين الرسل والامم وإنما أرسل الله تعالى موسى لهداية بني اسرائيل كما علم من النص ومن الواقع . ولما كان بنو اسرائيل مستعبدين مقهورين لفرعون وكبار أعوانه كهامان وقارون ابتدأ موسى بدعوة هؤلاء بأمر الله تعالى حتى أراهم آياته وكانت العاقبة إخراج بني إسرائيل من مصر وإيتاءهم الشريعة

لا دليل بل لا شبهة على التناقض في قول من القولين — أي مانع يمنع أن يكون هناك قارونان في زمن واحد او زمنين مختلفين فان قارون قوم موسى ذكر ولم يذكر في قصته أن موسى نصح له أو دعاه الى شيء بل جاء فيها ان قومه هم الذين نصحوا له «اذ قال له قومه لاتفرح» الى آخر الآيات فيجوز بل يقرب انه كان بعد موسى . ثم أي مانع يمنع ان يتخذ فرعون لنفسه رجلا اسرائيليا باغيا فسق عن تقاليد قومه وصار

لا يهمه الا بيع مصالحهم بما ينفع شخصه ويجاه عونا له على الاسرائيليين ويحكمه فيهم لانه أعلم بدخائلهم، وأدرى بمقاتلهم . أليس من المعهود في كل زمان أن يستعين الذين يحكمون أقواما غير قومهم بأفراد من أولئك الاقوام يبيعون مصالح قومهم للحكام الاجانب بالمال والجاه لاشخاصهم فلماذا يستنكر ان يصطنع فرعون لنفسه طاغية من الاسرائيليين يكون واسطة بينه وبينهم فيما يريد من ضروب الاستبداد والاستعباد ؟ ثم اذا فرضنا انه لم يكن عاملا لفرعون ولا صنيعة له وإنما كان أغنى بني اسرائيل وأقواهم سلطانا وأنفذهم شوكة كما تدل عليه سورة القصص أفليس هذا مسوغا لان يذكر مع فرعون وهامان وقد استن بسنتهما وجرى على طريقتهما ؟ بلى ولكن الذي يتلمس التناقض في القرآن ، لا يظفر الا بمثل هذا الخذلان .

(الشاهد الخامس) زعم ان قوله تعالى في موسى « فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم » يناقض قوله تعالى «اذ أوحينا الى أمك ما يوحى أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم» فان هذا القذف لم يكن الا هروبا من أن يقتله قوم فرعون فدل ذلك على أنهم كانوا يقتلون الاطفال قبل بعثته .

ونقول في الجواب أولا ان هذه الآية لم تعلل بهذا التعليل وإنما ذكرت غايتها المقصودة منها بالنص وهي قوله تعالى «يأخذه عدو لي وعدو له» أي ان الغاية من قذفه في اليم أن يأخذه فرعون ويربيه فيكون من أمره بعد ذلك ما يكون . وثانيا ان الامر بقتل الابناء أولا لا ينافي إعادته ثانيا لاجل التأكيد والتشديد عند وجود المقتضي . ومثال هذا حاضر بين أيدينا — نظار الحكومة المصرية كانوا نهوا جميع المستخدمين في الحكومة أن يجمعوا مالا لاعانة سكة الحديد الحجازية أو يساعدوا الجامعين وكان ذلك من عدة سنين ثم أعادوا هذا النهي الآن بمناسبة توجه الناس الى الاعانة بعد أمر السلطان بمطالبة المسلمين كافة باعانة اختيارية أقلها خمسة قروش على الشخص وأكثرها غير محدود . وقد ذكرت الجرائد هذا وذلك فهل يقال ان النهي الثاني مناقض للنهي الاول ؟ كذلك كان فرعون قد أمر القوابل بأن يقتلن أبناء بني إسرائيل ليقلل نسلهم فلما ظهر موسى ودعاه الى اتباعه والى إرسال بني إسرائيل معه أكد الامر الاول وأعاده او أمر بما هو أشد منه وهو ان يقتل الابناء جهرا . هذا الامر واتق لذلك لا مناقض له فان التناقض أن تكون احدى القضيتين موجبة والاخرى سالبة كقول يوحنا في الفصل الخامس من انجيله حكاية عن المسيح عليه السلام « ٣١ ان كنت أشهد لنفسي فليست شهادتي حقا » مع قوله في الفصل الثامن

« ١٤ أجاب يسوع وقال لهم وان كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق » ارأيت أيها القارئ المنصف لو كان يوجد في القرآن أمثال هذا التناقض ماذا كان يقول ويكتب هؤلاء المجاحدون الذين يسمون الحكاية عن الامر بمعنى الامر تناقضا ويسمون اختلاف القضيتين في الايجاب والسلب توافقا يدل على الالوهية ؟؟

(الشاهد السادس) زعم المعترض ان قوله تعالى « ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون » وقوله عز وجل « لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » مناقضان لقوله تعالى « ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » وقوله عز شأنه « يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين » وقوله تبارك اسمه « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين »

ونقول في الجواب ان للمعترض بعض العذر أن لم يفهم هذه الآيات حتى توهم أنها متناقضة وان كانوا يقولون ان الذي كتبها أو صححها هو أعلم النصارى بالعربية (الشيخ ابراهيم اليازجي) فان هؤلاء ينظرون في كتاب الله ليعترضوا لا ليفهموا ولو ابتغوا الفهم لفهموا على ان منهم من يفهم ويكابر نفسه ويماري الناس فيقول غير ما يعتقد .

معنى الآيات ظاهر وان كان للمفسرين في فهم بعضها وجهان فأما الآية الاولى فمعناها ان كل أمة من الامم المؤمنة بالوحي والانبياء لا تكون آمنة ناجية بمجرد انتمائها الى دين النبي الذي بعث فيها ولكن الناجين منها هم الذين يصح ايمانهم بالله وباليوم الآخر ويكونون على وجه الحق ويعملون الصالحات . وهذا حكم لا يعارض كون الدين اختياريا لا إكراه فيه ولا الزام ولا يعارض الاذن بمحاربة المعتدين من الكافرين والمنافقين ولا البغاة من المؤمنين فان الله تعالى أمر بقتال الطائفة الباغية حتى تفيء الى أمر الله

وأما الآية الثانية فمعناها ان الدين يقوم بالدعوة والدعوة تؤيد بالحجة وبيان الرشد في الايمان من الغي في الكفر .

وأما الآية الثالثة فمعناها أن الاسلام هو دين الانبياء الذي كان عليه ابراهيم وموسى وعيسى وغيرهم ولا يقبل الله تعالى ديناً غيره في الآخرة ولم يكن يعني من الاسلام الذي دعي اليه الناس في القرآن ما سيكون عليه الطوائف الذين يسمون أنفسهم مسلمين كيفما كانت عقائدهم وتقاليدهم حتى المجسمة والباطنية والنصيرية وانما معناه الدين الذي روحه إسلام الوجه (القلب) الى الله تعالى والاخلاص له في العبادة والطاعة كما قال « فقل أسلمت وجهي لله ومن

اتبعني » وقال « ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل » وقال « ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون » فعلم من هذه الآيات وأمثالها ان المراد بالاسلام دين الانبياء من ابراهيم الى محمد عليهم السلام . ولقد كان الانبياء من قبل إبراهيم على دينه ولكن ابراهيم أقدم الانبياء الذين لم يبت ذكرهم ولم ينقطع التوحيد من ذريته . وهذا المعنى مطابق لمعنى الآية الاولى مطابقة تامة

وأما الآية الرابعة الآمرة بجهاد الكفار والمنافقين فليس فيها كلمة تومئ الى ان الجهاد لاجل الإكراه على الدين كيف والمنافقون كانوا متلبسين بالدين في الظاهر وكان النبي يعاملهم معاملة المسلمين حتى ان المفسرين قالوا ان الجهاد لا يصح هنا الا اذا كان بمعنى المحاجة بالبرهان فان الجهاد في اللغة ليس بمعنى القتال وانما هو بذل الجهد في مقاومة شيء ولذلك أمرنا بجهاد أنفسنا اي بذل الجهد في مقاومة شهواتها . ويصح ان يكون الامر بجهاد الكافرين والمنافقين معا بمعنى مقاتلتهم اذا كانت الآية نزلت في مثل غزوة الاحزاب التي اتحد فيها طوائف المشركين مع اليهود والمنافقين من الفريقين على استئصال المسلمين وفيها هدد الله المنافقين بقوله « لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا »

نعم ان القتال شرع في الاسلام لمقاومة المعتدين وتأمين المؤمنين الذين كانوا يفتنون عن دينهم في أنفسهم وأهليهم ويدل على كونه مأذونا فيه للضرورة الآيات الواردة فيه . أول هذه الآيات نزولا آية السيف وهي قوله تعالى « أذن للذين يقاتلون (بفتح التاء) بأنهم ظلموا (بضم الظاء) وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله . ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز . الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور » ولا ننس قوله تعالى « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين »

وأما الآية الخامسة وهي قوله تعالى « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله » فهي مطابقة لهذه الآيات وللمعنى الذي قلناه في حكمة الإذن بالقتال أي قاتلوا هؤلاء المعتدين عليكم لانكم مؤمنون والذين يفتنونكم عن دينكم ليردوكم الى دينهم ان

استطاعوا حتى تزول هــذه الفتنة والاعتداء لاجل الدين ويكون الدين خالصا لله لايكره عليــه أحد ولا يفتن عنه أحد أي لينتفي الاكراه بالالزام به والارجاع عنه وتكون الدعوة اليه أمينة لتظهر الحجة.هذا هو معنى الآيات لايقبل تأويلا وهي ملتئمة يؤيد بعضها بعضاً

(الشاهد الثامن) زعم المعترض ان قوله تعالى حكاية عن المسيح « والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا » مناقض لقوله « وما قتلوه وما صلبوه » — الى قوله « بل رفعه الله اليه » والجواب ان الله تعالى ذكر في آية أخرى ان الرفع يكون بعد الموت وهي قوله « ياعيسى إني متوفيك ورافعك الي » فنفي القتل والصلب لايستلزم نفي الموت بل جرى عرف اللغة على ان لايعبر بالوفاة والموت عن القتل والصلب بل عمن يموت حتف أنفه . وبهذا وما قبله تبين ان شواهد المعترض على تعارض القرآن وتناقضه ظاهرة البطلان ويبعد ان يكون مثل ذلك المؤلف (الانكليزي) والمصحح (الشامي) والناقل (القبطي البروتستنتي) معتقدين بها وانما هم سيئوا القصد يحبون ان يشككوا عامة المسلمين في دينهم ليجذبوهم بحبال الاوهام الدنيوية الى ذلك الدين الذي يضم الشاكين والملحدين ، ويؤلف منهم عصبية لمقاومة المسلمين ،

القسم العمومي

نظام الحب والبغض — تابع ويتبع

(١) الأنسان يحب ذاته — قضية يؤيدها الحس وبها تنال كل اعماله وكل محبانه ومن محبته لذاته تحمله الأتعاب العظيمة والآلام الشديدة في العاجل لأ مله ان تبقى ذاته وتنال خيراً في الآجل . وهذا أعظم الأمثلة لمحبة الانسان ذاته .

(٢) حب الذات في أصله طبيعي ونافع — هذه المحبة تخلق مع الانسان من قبل ان يعرف نفسه وغيره ، ومن قبل ان يعرف النافع والضار ، والدليل على ذلك انه منــذ يبدأ ان يعرف النافع والضار من طريق الحس يبدأ ان يحب مرضعته قبــل سواها . وهل يقتــدر أحدان يعلل محبــة الطفل لمرضعته بشيء غير طبيعي ؟ وهل ذلك الشيء الطبيعي أمر غير محبة الأنسان ذاته بحسب الجبلة؟ولا ريب في ان هذا